قصص الحيوانات
فى القرآن الكريم



غراب هابيل وقابيل

بقلم : عبدالحميد عبدالمقصود
عبد الشافى سيد
رسوم : عصام حسن
إشراف الأستاذ / حمدى مصطفى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



أَنَا غُرَابُ ابْنَىْ آدَمَ ..

أَوْ غُرَابُ هَابِيلَ وَقَابِيلَ ..

أَوِ الْغُرَابُ الَّذِى بَعَثَهُ اللهُ تَعَالَى ، لِيُعَلِّمَ قَابِيلَ كَيْفَ يَدْفِنُ جَسَدَ أَخِيهِ هَابِيلَ بَعْدَ أَنْ قَتَلَهُ ..

وَلَكِنْ مَا هِىَ قِصَّتِى ..؟ دَعُونِى أَحْكِهَا لَكُمْ مِنَ الْبِدَايَةِ إِلَى النِّهَايَةِ ..

نَشَأْتُ فِى زَمَنِ أَبِى الْبَشَرِ « آدَمَ » عَلَيْهِ السَّلَامُ ..

كَانَ ذَلِكَ بَعْدَ هُبُوطِ آدَمَ وَحَوَّاءَ مِنَ الْجَـ
إِلَى الْأَرْضِ ، وَتَوْبَتِهِمَا إِلَى اللهِ عَمَّا بَدَرَ مِنْهُـ
مِنْ مَعْصِيَةٍ ..

بَعْدَ ذَلِكَ أَخَذَ آدَمُ وَحَوَّاءُ يَعْمُرَانِ الْأَرْضَ وَيُنْجِبَانِ الْأَطْفَالَ ..

كَانَتْ حَوَّاءُ تُنْجِبُ فِى كُلِّ مَرَّةٍ تَوْءَمًا .. وَلَدًا وَبِنْتًا ..

فِى أَحَدِ الْأَعْوَامِ وَضَعَتْ قَابِيلَ وَأُخْتَهُ إِقْلِيمَا .. وَفِى عَامٍ آخَرَ وَضَعَتْ هَابِيلَ وَأُخْتَهُ لِيُوثَا ..

كَانَ هَابِيلُ مُنْذُ صِغَرِهِ طَيِّبًا ، مُطِيعًا لِوَالِدَيْهِ ، وَكَانَ قَابِيلُ عَلَى عَكْسِهِ يَعْصِى وَالِدَيْهِ بِاسْتِمْرَارٍ ، وَيُكْثِرُ مِنَ الشِّجَارِ مَعَ هَابِيلَ ..

وَمَرَّتِ السَّنَوَاتُ ، كَبِرَ خِلَالَهَا الْأَخَوَانِ قَابِيلُ وَهَابِيلُ ، وَكَبِرَتْ مَعَهُمَا أُخْتَاهُمَا إِقْلِيمَا وَلِيُوثَا .. وَصَلَ كُلٌّ مِنْهُمْ إِلَى سِنِّ الزَّوَاجِ .. وَكَانَتِ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ فِى ذَلِكَ الْوَقْتِ تَقْضِى بِأَنَّ كُلَّ وَلَدٍ مِنْ بَطْنٍ يَتَزَوَّجُ أُخْتَهُ مِنَ الْبَطْنِ الْأُخْرَى .. أَىْ يَتَزَوَّجُ قَابِيلُ مِنْ لِيُوثَا أُخْتِ هَابِيلَ ، وَبِالْعَكْسِ يَتَزَوَّجُ هَابِيلُ مِنْ إِقْلِيمَا أُخْتِ قَابِيلَ ..



وَلِأَنَّ هَابِيلَ كَانَ مُطِيعًا لِوَالِدَيْهِ ، فَلَمْ يُعَارِضْ
الْأَمْرِ .. أَمَّا قَابِيلُ فَقَدْ رَفَضَ الزَّوَاجَ مِنْ لِيُوثَا ، وَقَالَ بِأَ
يَنْوِى الزَّوَاجَ مِنْ إِقْلِيمَا أُخْتِهِ ..

اخْتَلَفَ الْأَخَوَانِ ، وَوَقَعَ الشِّجَارُ بَيْنَهُمَا .. وَكَانَ
قَابِيلُ هُوَ الْبَادِئُ بِالْمُشَاجَرَةِ ، لَكِنَّ هَابِيلَ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ
وَتَدَخَّلَ الْأَبُ آدَمُ لِيَحُلَّ الْمُشْكِلَةَ .. أَفْهَمَ ابْنَهُ قَابِيلَ أَ
أُخْتَهُ لَا يَحِلُّ لَهُ الزَّوَاجُ مِنْهَا ..

وَظَلَّ قَابِيلُ مُصِرًّا عَلَى مَوْقِفِهِ ، فَطَلَبَ آدَمُ مِنْ كُ
وَاحِدٍ مِنْ وَلَدَيْهِ أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِتَقْدِيمِ قُرْبَا
لَهُ .. فَمَنْ تَقَبَّلَ اللهُ قُرْبَانَهُ كَانَ عَلَى الْحَقِّ ..

سَارَعَ هَابِيلُ بِإِحْضَارِ أَسْمَنِ خِرَافِهِ ، وَوَضَعَهُ عَلَى الْجَبَلِ مُتَقَرِّبًا بِهِ إِلَى اللهِ ، بَيْنَمَا أَحْضَرَ قَابِيلُ حُزْمَةً مِنْ سَنَابِلِ الْحِنْطَةِ الْخَضْرَاءِ ، وَوَضَعَهَا قَرِيبًا مِنْ خُرُوفِ أَخِيهِ ..

وَوَقَفَ هَابِيلُ وَقَابِيلُ يَنْتَظِرَانِ بَعِيدًا ، لِيَرَيَا مَنْ يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنْهُ قُرْبَانَهُ ..

وَبَعْدَ قَلِيلٍ هَبَطَتْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ ، وَحَرَقَتْ قُرْبَانَ هَابِيلَ ، دَلِيلًا عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ تَقَبَّلَ مِنْهُ قُرْبَانَهُ ، بَيْنَمَا بَقِيَ قُرْبَانُ قَابِيلَ كَمَا هُوَ لَمْ يُمَسَّ ، دَلِيلًا عَلَى أَنَّ اللهَ لَمْ يَتَقَبَّلْهُ مِنْهُ ..

فَرِحَ هَابِيلُ وَشَكَرَ اللهَ ، وَغَضِبَ قَابِيلُ فَرَاحَ يُهَدِّدُ أَخَاهُ بِالْقَتْلِ ..



رَدَّ هَابِيلُ عَلَى تَهْدِيدِ أَخِيهِ لَهُ بِالْقَتْلِ بِقَوْلِهِ :

﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى ما أنا بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ .. إِنِّى أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ ..

وَحَذَّرَ هَابِيلُ أَخَاهُ قَابِيلَ مِنْ نَتِيجَةِ تَهْدِيدِهِ لَهُ ..

وَمَرَّتْ أَيَّامٌ يَعْلَمُ عَدَدَهَا اللهُ وَحْدَهُ .. ثُمَّ وَقَعَتْ أَوَّلُ جَرِيمَةِ قَتْلٍ عَلَى الْأَرْضِ ..

قَتَلَ قَابِيلُ أَخَاهُ هَابِيلَ .. ثُمَّ وَقَفَ يَنْظُرُ إِلَى جَسَدِهِ حَائِرًا .. مَاذَا يَفْعَلُ فِى جَسَدِ أَخِيهِ .. ثُمَّ حَمَلَهُ عَلَى كَتِفِهِ وَأَخَذَ يَجْرِى بِهِ هُنَا وَهُنَاكَ فِى حَيْرَةٍ ..

وَشَاءَتْ إِرَادَةُ اللهِ أَنْ يَبْعَثَنِى أَنَا الْغُرَابَ ، لِأُعَلِّمَ ابْنَ آدَمَ كَيْفَ يَدْفِنُ جَسَدَ أَخِيهِ ..

كَانَ هُنَاكَ غُرَابٌ مَيِّتٌ ، فَحَمَلْتُهُ بِمِنْقَارِى .. ثُمَّ وَضَعْتُهُ عَلَى الْأَرْضِ أَمَامَ قَابِيلَ ، وَبَدَأْتُ أَحْفُرُ الْأَرْضَ بِمِنْقَارِى ، حَتَّى حَفَرْتُ حُفْرَةً تَسَعُ الْغُرَابَ الْمَيِّتَ ، ثُمَّ أَرْقَدْتُ فِيهَا الْغُرَابَ ، وَأَهَلْتُ عَلَيْهِ التُّرَابَ ، وَسَوَّيْتُ التُّرَابَ .. ثُمَّ طِرْتُ بَعِيدًا ، فَرَأَيْتُ قَابِيلَ يَضَعُ جَسَدَ أَخِيهِ عَلَى الْأَرْضِ .. ثُمَّ أَخَذَ يَحْفُرُ حُفْرَةً كَبِيرَةً ، فَلَمَّا انْتَهَى مِنَ الْحَفْرِ أَرْقَدَ أَخَاهُ فِى الْحُفْرَةِ ، وَأَهَالَ عَلَيْهِ التُّرَابَ ، تَمَامًا مِثْلَمَا فَعَلْتُ أَنَا مَعَ أَخِى الْغُرَابِ ..

وَهَكَذَا كُنْتُ الْغُرَابَ الَّذِى عَلَّمَ أَبْنَاءَ آدَمَ كَيْفَ يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ .



وَقَدْ حَكَى الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هَذَا الْمَوْقِفَ فِى سُورَةِ الْمَائِدَةِ فِى قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ، فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۞ فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى الْأَرْضِ ، لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ، قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ ، فَأُوَارِىَ سَوْءَةَ أَخِى ، فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ ..

(الآيتان ٣٠ ، ٣١ من سورة المائدة)